اللقاء الرابع عشر من لقاءات التفسير
في شهر رمضان المبارك من عام 1437هـ

الجزء السادس عشر: سورة طه
الآيات 83 – 98

بسم الله الرحمن الرحيم

أخواتي الفاضلات، إليكم سلسلة تفاريغ من دروس أستاذتنا الفاضلة أناهيد السميري حفظها الله، وفّق الله بعض الأخوات لتفريغها، ونسأل الله أن ينفع بها، وهي تنزل في مدونة (عِلْمٌ يُنْتَفَعُ بِهِ)

/!#/http://tafaregdroos.blogspot.com

تنبيهات هامة:

- منهجنا الكتاب والسنة على فهم السلف الصالح.
- هذه التفاريغ من اجتهاد الطالبات ولم تطلع عليه الأستاذة حفظها الله، أما الدروس المعتمدة من الأستاذة فهي موجودة في شبكة مسلمات قسم (شذرات من دروس الأستاذة أناهيد) /http://www.muslimat.net

- الكمال لله عز وجل، فكتابه هو الكتاب الوحيد الكامل السالم من الخطأ، فما ظهر لكم من صواب فمن الله وحده، وما ظهر لكم فيه من خطأ فمن أنفسنا والشيطان، ونستغفر الله..

والله الموفق لما يحب ويرضى.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

نحمد الله عز وجل حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا ونسأله بمنّه وكرمه أن يجعل القر آن العظيم ربيع قلوبنا ونور صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا اللهم آمين.

نتدارس اليوم آيات من سورة طه تعييننا على فهم ما عاناه موسى عليه السلام من قومه وكيف كان حالهم بعد خروجهم من عند فرعون؟ وكيف وقع منهم مخالفة أمر الله واتباع عقيدة الشرك ؟ مع أنهم عرفوا التوحيد وعرفوا معناه وذاقوا طعمه و أثره، وهذا يدل على أن الإنسان سريع النسيان يسير التقلب، إذا لم يبقَ له واعظًا من نفسه ومن غيره وقع فيما يدركه ليفسد عليه دينه.

سنناقش قصة عبادة العجل في سورة طه وقد ورد ذكرها أيضا في سورة الأعراف ومعلوم أن هذا القصة أتت بعدما أهلك الله فرعون.

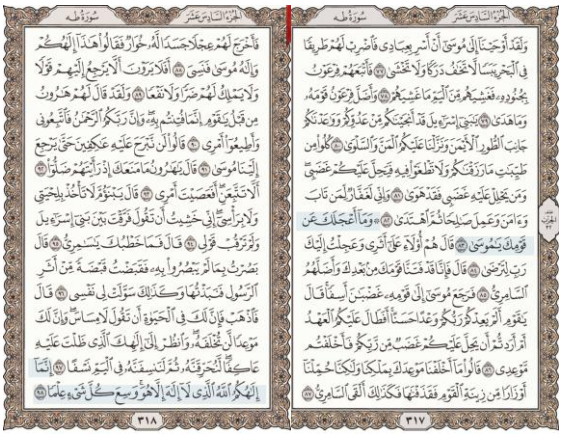

بدأت القصة في سورة طه بقوله تعالى: **{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى}**. والمقصود هنا العتاب له عليه الصلاة والسلام، والاستفهام هنا واقع موقع العتاب لأنه كما يظهر في كتب المفسرين أن موسى عليه السلام تعجل مفارقة قومه ليحضر إلى المناجاة، اجتهادا منه ورغبة في تلقي الشريعة حسبما وعده الله، فسبق قومه لشوقه وتركهم وراءه فتقدمهم ولم يكونوا معه وقال الله عز وجل: **{وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى}** أي: ما الذي قدمك عليهم لِمَ لم تصبر حتى تقدم أنت وهم؟

وبهذا نفهم أن موسى عليه السلام استخلف هارون على بني إسرائيل يسيرون، وخلف السبعين وراءه أيضا وأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل وهو سبقهم، بما أن موسى اختار من قومه سبعين رجلا حتى يذهبوا معه إلى الطور حتى يأخذوا التوراة فسار بهم ثم عجل عنهم، وخلف وراءه السبعين لأمرهم أن يتبعوه إلى الجبل.

هذا فهم كلام آخر أمر أن يسير بهم جميعا فقال مخبرا عن الحال: أنهم وراءه وأنه فارقهم يعني هو فارقهم ماضيا إلى ربه لمناجاته ووافيا للوعد وهم سا ئرين وراءه كما أمرهم **{هم أولاءِ}** يعني مقصود أنهم وراءه وأنهم في الأثر والأثر هو ما يتركه الماشي على الأرض من علامات. بمعنى أنهم سائرين على أثر أقدامي أي يوالون لي في المشي.

{وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى } وهذا اعتذار، ما أعجلك عن قومك؟ كان الجواب لأرضيك، فتقدمت في الموعد الذي وعدتني الثلاثين ليلة التي ذكرها بعشر.

المفسرين لديهم قولين في هذا:

١. أن هؤلاء الأربعون الذين اختارهم قوم موسى وخرج هو سابق لهم.
٢. أن قوم موسى نفسهم كلهم سائرين على أثر موسى، وأنه سبقهم إلى الموعد. لم سبقهم؟ قال: وعجلت إليك ربي لترضى.

{قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِن بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ} هنا يأتي الخبر عن قصته ، فأخبر الله عز وجل أنه ابتلى قوم موسى بفتنة كان سببها السامري، ولذا قال : **فَتَنَّا:** بمعنى اختبرناهم وابتليناهم بوجود هذا الرجل بينهم . **مِن بَعْدِكَ:** يعني من بعد ما فارقتهم **{وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ}** المقصود أنه أضلهم بدعائه لهم وتزيين عبادة العجل.

ومعنى ذلك أن الخلق لا يبرح أن يكونوا مفتونين، فإن هؤلاء قد أخرجهم الله مما كانوا فيه وابتلاهم وامتحنهم بهذا الذي دعاهم، وزين لهم عبادة غير الله وأما عبادته للعجل يعني تزيينه لعبادة العجل، أنه من آثار ما كانوا فيه عند فرعون.

مر معنا أن فرعون كان يعبد البقر وله جمانة يلبسها يسجد لها وكان البقر أو العجل الذي هو يسجد له معظم عند ذلك القوم فخرج بأبدانهم من تلك الفترة لكن بقيت قلوبهم متعلقة بشيء منها.

وقد أكثر المفسرون في الكلام عن من هو السامري هل هو من بني إسرائيل أم من خارجهم؟ والظاهر أنه من بني إسرائيل، لأنه لم توجد أدلة على أنه من خارجهم.

والعجل كما تبينا لنا أنه ولد البقرة قبل أن يسير ثورا، وهكذا عرفنا أن الله ابتلاهم وفتنهم والفتن ة كان لها رأس وهو السامري والفترة تمثلت في عبادة هذا العجل.

ومما يذكر هنا أن في التوراة صانع العجل هو هارون وهذا من شدة اعتدائهم على الأنبياء، وتحريف الكلم عن مواضعه وأرادوا بذلك تشويه سمعة الأنبياء وتدنيس عقيدتهم، بالأخبار أنهم يقعون في الشرك.

فلما سمع هذا موسى عليه السلام {فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا } وله حق في ذلك فإن الاعتداء على حمى التوحيد يثير الموحدين وكيف وهو النبي الكريم الذي أتى باليقين ورأى من آيات ربه عز وجل، ووقع له الكلام مع ربه، كل هذا لا بد أن يكون هناك احتراق شديد على التوحيد، وخوف شديد على أهله، وغضب شديد ممن أتى بخلافه.

وهذا أمر لا يلام عليه أحدا، بل إن الذي يلام عليه العبد أن يرى مظاهر الشرك ولا يرى انفعال في نفسه ولا هيجان، فقد جمع موسى بين الغضب والأسف، الغضب لهذا الم بش، والأسف بمعنى الحزن وانكسار الخاطر، كيف يكون هذا شكر نعمة الله! كيف هذا يكون بعد أن نجانا الله! فإنه يسؤه وقوع هذا في أمته وفي نفس الوقت هو لا يخافهم غضبان منهم، فالغضب يوقع عليهم العقوبة، والحزن يوقع عليهم الخوف من عاقبة ما يفعلون على أنفسهم، فلما يزيد الحزن حزنا أن يكون هذا فعلهم وقت ما يكون يناجي ربه، فإنه كان يأمل أن تكون هذه المناجاة سبب الرضا على قومه، فإذا هم يأتون في ذاك الزمن بما لا يرضي الله!

انكسر خاطره صلى الله عليه وسلم وهو بين يدي ربه، ووقع منهم الأذية العظيمة لنبيهم بعد الجرم العظيم وهو الشرك لربهم!

فلما رجع إلى قومه غضبان أسفا بدأ يقرع قومه، فابتدأ بخطاب قومه كلهم وهو على يقين أن هارون لا يمكن أن يكون مشايعا لهم ولا موافق لهم لا كما تكذب التوراة عليه م {قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا } هنا الاستفهام للإنكار عليهم، فكأنهم زعموا أن الله لم يعدهم وعدا حسنا ؛ لأنهم تصرفوا في ذاك الموقف ك أن ربهم لا نجاهم ولا أعطاهم ولا منّ عليهم ولم أراهم الآيات، فأعمالهم ليست أعمال من رأى بعينه النجاة فقال لهم : {أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا} وهو وعد الإصلاح والتمكين وإنزال التوراة وأن يكون ناصرا لهم على عدوهم وهاديا لهم في طريقهم، خصوصًا بعدما رأوا الآيات ، هذا كله يجعل العبد شديد التعلق بالله منتظرًا عطاؤه، وقد وعدهم ربهم أنه غفار لمن تاب و آمن وعمل صالحا ثم اهتدى، فقد وعدهم الخير فما كان منهم إلى أن يتصرفوا بخلاف ما يوجبه الإيمان.

وتحت كلمة {أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا } تأتي كل الوعود التي وعدو ا بها بني إسرائيل بها في الدنيا و أيضا ما يترتب على ذلك في الآخرة، سواء كان بأن يكون لهم الملك و أن ينصرهم على عدوهم وأن يمكن لهم في الأرض وأن يغفر لهم ذنوبهم وأن يلحقوا بجنات النعيم، هذا كله تحت وعد الله، وأعظم ما كان لهم في الدنيا أن يعطيهم التوراة.

ثم قال لهم: {أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ} وهذا لا زال استفهام إنكاري، يعني هل بَعُدَ زمن وعد ربكم إياكم حتى يكون لكم يأس من الوفاء فتكفروا وتكذّبوا وتعبدوا ربًّا غيره؟!

وهذهالحقيقة حال الإنسان لما يكون بدون إيمان، والمقصود هنا حال اليأس، هو يقول لهم: العهد لم يطل بكم أصلا حتى تصلوا ما يصل به الإنسان اليائس. فإن الإنسان من طبعه إن يئس من كان يؤمّله ويرجوه فإنه يتركه وينتقل إلى غيره، هذا لما يكون كافر لا يسارع إلى اليأس إنما يبقى راجيا ثم يأتيه اليأس، وأنتم لا يليق بكم هذهالحال، أنتم مؤمنون والإيمان يمنع اليأس من روح الله، ثم أن لا عذر لكم فالزمن لم يطول، أنا سبقتكم وأنت على أثري! فيقرّعهم أن العهد الذي بينهم وبين ربهم كان المفروض أن يُحفظ و لو طال زمانه فكيف ولم يطل زمانه حتى تنسوه وتعملون بخلافه! فقد عاهدتم الله على الامتثال والعمل بالشريعة، ووعدكم كل هذه العطايا ، فوعد الله لكم ليس بالبعيد ولم تطول المدة، و إن طالت كان وصف المؤمنين بقاء الأمل برب العالمين الرجاء، وليس حالا كحال الكافرين يفقدون الأمل في رب العالمين.

وهنا درس مهم لأهل الإيمان، فإن أقوياء الإيمان رجاءهم برب العالمين غاية في القو ة، يؤمنون بما وعدهم ويؤمنون أنه يوفي سبحانه ما وعدهم، فمن أسمائه (المؤمن) الذي يعطي عباده ما وعدهم ويوفيهم ويزيدهم من عطائه.

ثم قال لهم: {أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي } وهذا إنكار أيضا، ونفهمه كأنه يقول لهم بل أردتم أن يحل عليكم غضبي ؛ لأن كفركم لن يؤدي إلا إلى الغضب، ويصبح حالكم كحال من يحب أن يحل عليه غضب ربه! وهم قد أخذوا أسباب حلول غضب الله، فُتنوا واستسلموا للفتنة، سواء توعّوا أنهم يطلبون حلول غضب الله أو لم يتوعّوا إلى لذلك، كانوا منتبهين أو غير منتبهين، هذه حال العبد لابد له أن يكون ناظر لنهاية فعله ماذا سيكون لما يخالفوا أمر رسوله؟! خصوصا أنا سنسمع الآن أن هارون نبههم وبيّن لهم. فيكونون بذلك قد وقع منهم التعجل، عدم الثقة بنبيهم، عدم اليقين بربهم لما غاب عنهم مده قصير ة فعلوا هذا! فكيف لما تتباعد العهود عن النبوة؟! كيف يكون حال الخلق؟! ولذا هؤلاء القوم لم يصلحوا لحمل الرسالة الخاتمة ؛ لأن الرسالة الخاتمة تحتاج البقاء على العهد حتى مع طول المدة، لأن طول المدة تسبب

اندثار الآثار، ويحصل فيها ما يحصل من اختفاء الطريق، فلا تكن أم ة تحمل هذه الشريعة إلا وهي شديدة التنبّه للسنن محافظة عليها لكي لا يطول العهد ويندرس الحق.

وهذا من كلام موسى عليه السلام إشارة مهمة، أن طول العهد يمكن أن يجعل العبد على خلاف الحق، وطول العهد بيننا وبين النبي صلى الله عليه وسلم يطويه قراءة سنته صلى الله عليه وسلم والعناية بها ونشرها والاهتمام بها، فإن نشر السنة من بقاء العهد، ولذا كانوا يقولون على كتاب سنن أبي داوود رحمه الله يقولون : من كان في بيته فكأنما في بيته النبي ! السبب؟ تفتحه تقرأ فيه فترى هكذا فعل هكذا قال صلى الله عليه وسلم وهكذا خاطب خادم ه وهكذا خاطب أصحابه وهكذا توضأ وهكذا صلى وهكذا اجتمع، فينطوي طول العهد، هذا بيننا وبين سنة النبي صلى الله عليه وسلم.

وبينك وبين الحق –هذا على مستوى شخصي – بينك وبين معانيه يجب أن لا يطول العهد ؛ لأن طول العهد بينك وبين معاني الحق تُذهب أثره، ولذا كثرة تلاوة القرآن تبقى مذكرة لك بالعهد، قولك في الأذكار في الصباح والمساء تبقى مذكرة لك بالعهد وهكذا.

قال لهم: {أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي } الموعد بينه وبينهم وهو ما وعد الله على لسان موسى عليه السلام فأخلفوا موعده في البقاء على التوحيد والاستقامة في الدين وطاعة هارون، وهو كما يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "لم ترقبوا غائبا ولم تحترموا حاضرا" لا رقبوا موسى عليه السلام وهو غائب ولا يحترموا الحاضر وهو هارون.

ثم ردوا عليه هذا الرد، يعتذرون بالأعذار الباردة، وقد ذكر ابن كثير أنهم لما قالوا: {مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ } ذكر ابن كثير أنهم يقولون هذا من باب التورع ، كان في أيديهم من حلي القبط الذين كانوا قد استعاروها منهم حين خرجوا من مصر، يحكى أنهم لمن أرادوا أن يخرجوا من مصر أرادوا أن يخفوا خروجهم، فأصبحوا يعاملون الأقباط، فيأتوا نساءهم ويأخذوا من حلي الأقباط على أنهم باقيين لم يخرجوا من ديارهم، فخرجوا ومعهم حلي الأقباط.

وقد ورد في بعض الآثار أن الله قد أحلها لهم، هم يقولون يعني يعتذرون بهذا العذر البارد كما يذكر ابن كثير فيقولون : تورعنا عما في أيدينا من حلي القبط الذي كنا قد استعرناها منهم فألقيناها عنا، ألقوها كلها في المكان فجاء السامري بعد ذلك وفعل ما فعل، فهم يقولون ما أخلفنا وعدنا لك بإرادتنا واختيارنا، يعني: ما أردنا أن نخلف موعدك ما تجرأنا على ذلك، لكن أتينا بهذه الحلي و أخذها السامري وفعل بها ما فعل ، فمبدأنا لم يكن للضلال و إنما ابتدأنا ظننا أننا بذلك نتخلص من

أوزار زينة القوم، فهو أخذ الزينة وصاغها، أخذ الذهب وصاغه ، فصاغ الذهب الذي معهم على صورة العجل الذي عبدوه واغتروا بما موَّه لهم السامري من أنه إلههم المنشود ، وفي بعض الأقوال يقولون أليس الله معنا؟! فهذا تفكيرهم أن الله معهم فجاش في خواطرهم رؤيته، فكان هذا الصورة عندهم أنها إلههم، تعالى الله عما يقولون.

وهكذا تكون البدايات التي لا يكون فيها متابعة للدين غالبا انه ممكن أن يخرج منها الناس إلى البلاء العظيم، فها هم رأوا الأوزار هذه الأثقال رأوا أن هذه الزينة الحلي والمصوغات الذهبية رأوها أثقالا، فأرادوا التخلص منها، ما ساروا بها على ما أُمروا رغم أن كما مر معنا أن لبعض ما يذكر أنه قد أحلت لهم، فماذا فعل؟ أخذ هذه الزينة وأمرهم أن يقذفوها في النار فلخرج لهم عجلا.

وهنا السؤال: كيف خطر في بال هذا السامري أن يفعل مثل هذا الفعل! وينقل الناس من عبادة الله إلى الشرك! ثم نفكر كيف هم أطاعوه وقبلوا منه! وكيف تكون البداية أنهم يريدون أن يتخلصوا من الوزر فيدخلون في المصيبة العظيمة! وهذا الضّك البارد الذي أورثهم هذه البلوى العظيمة التي بقيت في تاريخهم.

{فأخرج لهم عجلا جسدا له خوار} وهذا معناه أنه صائغ كما تذكر الأخبار أن نفس السامري هذا كان صائغ، فأخرج لهم يعني لأجلهم، ومعناه انه عندهم الرغبة في ذلك ، بدليل أنهم ابتدأوا بقذف ما بأيديهم من زينة القوم إلى السامري وألقى السامري ما بيده ، فاجتمع هذا كله و أذابه بالنار وصاغه فأخرج لهم من ذلك عجلا جسدا ، والجسد وهو الذي تتمثل فيه الأعضاء سواء كان حيًّا أ ولا. فلخرج لهم عجل له صورة دقيقة في الجسد، له قوائم له جوانب، يعني ليس مجرد صورة منقوشة على طبق، إنما جعله مجسما له خوار وهو صوت البقر، وهذا يظهر أن له خبرة في صناعة الأصنام، وكيف يجعل في أجوافها وأعناقها منافذ تصبح كالمزمار يخرج منها أصوات إذا جاءتها الريح يخرج منها صوت.

معاناه السامري صنع صنمًا على صورة عجل و هذا من آثار مع ما اعتادوه في مصر من عبادة العجل ، فلما رأوا ما صاغه السامري في صورة معبود صار عليهم ما كانوا يعرفوه فيما سبق ، ورسخ في أذهانهم أن هذا هو الإله الحق، ولذا قالو ا هذا **{إلهكم وإله موسى}** لما رأوه من ذهب وفضة، ونسوا أن إلههم العظيم لابد أن يكون بكماله سبحانه وتعالى وجلاله خفيا عن الأبصار.

{فنسي} قيل فنسي معناها أن موسى نسي إلهكم وإلهه، يعني غفل عنه وذهب إلى الطور يفتش عنه وهو في الحقيقة بين أيديكم. يعني أ ن الذي نسي هو موسى نسي بمعنى اخطأ، هذا العجل هو إلهكم، وهذا الذي اختاره الطبري أنه وصف لموسى، لأنه نسي ربه و أن ربه الذي ذهب يريده هو العجل الذي أخرجه السامري، فوصل الأمر إلى الكلام عن النبي و أنه ضلّ، وهذا كله يدل على عدم استقرار العقيدة بحيث أن يكون هناك ما يدفع هذا الكلام وتأتي لهم المناقشة {أَفَلا يَرَوْنَ أَلاَّ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلا وَلا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا} هذا إنكار عليهم أين أبصاركم وعقولكم؟! كأنهم ما يرون أن هذا العجل لا يتكلم ولا يستطيع نفعا ولا ضرا، كيف تدعو ن إلها وأنتم ترون أنه لا يستطيع نفعًا ولا ضرًّا ! هذا من خيبة أهل الكفر ومن خيبة العقول التي تتجاهل الحق.

الله عز وجل يوبخهم ويسفّه أحلامهم، ألم يعلموا أن ربهم كلم موسى ؟! فكيف يزعمون أن إله موسى لا يتكلم؟! ألم يروا أن ربهم نفعهم وألحق الضر بعدوهم؟! فكيف يعبدون من لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرًّا ولا نفعًا ! وهم قد عاشوا هذا الآن ذاك الوقت ولم يبعد عليهم العهد كما قال لهم موسى ، هذا كله الحقيقة لما نسمعه لا نتصور أنه خاص ببني إسرائيل، فإن النفس الضعيفة هي نفسها النفس الضعيفة، تغتر وتذهب ومن هذا ما لا نثق أبدا بهذه القلوب التي تتقلب، إنما رجاءنا في رب العالمين وهو مقلب القلوب أن يثبت قلوبنا على دينه.

{وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي} فإذًا هنا دليلين:

الدليل الأول: عقلي، العجل لا يستحق العبادة؛ لأنه لا يرجع إليهم قولا ولا يملك لهم ضرا ولا نفعا.
والأمر الثاني: أن هارون قد وعظهم ونبههم وذكرهم بأنه ا فتنة وأن السامري فتنهم وأن ربهم الرحمن لا هذا الذي لا يملك لهم نفعا فضلا بأن يرحمهم، وهذه الصفة خاصةً هم يشعرون بها فإن الله رحمهم من فرعون الذي استعبدهم.
فإذًا اجتمع لهم الدليل العقلي والدليل السمعي، العقلي أن هذا لا يجيبهم، والسمعي أن هارون كان ينصحهم ونبههم أنها فتنة وأنه ليس ربهم، هو قال لهم فاتبعوني وأطيعوا أمري، فأجابوه هذا الجواب العجيب: {قَالُوا لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى} يعني هو لما قال لهم هذا لا ينفعكم قال لهم اتبعوني وأطيعوا أمري يعني اتبعوني في عبادة ربكم وترك عبادة ما سواه، فردوا {لَن نَّبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ} يعني ملازمين له بقصد القربة والتعبد!

يعني متى وصل الأمر أنكم تلازمونه! ما هذه السرعة في الملازمة ! وقد أتت بعض الأخبار أنهم كانوا يلزمونه ويقفون حوله ليل نهار، واشترطوا أن يبقوا ملازمين لهذا العجل حتى يرجع إلينا موسى فيقرر لنا هل نعبده أو لا نعبده ! معناه أنهم كانوا يظنون أن موسى يعبد العجل، فلعتزلهم هارون ومعه عدد من بني إسرائيل.

فرجع موسى فلما خاطبهم هذا الخطاب **{قَالَ يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا أن لا تتبعنِ }** يعني قال: يا هارون هذه جملة تابعة للخطاب الأول: **{يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا}** ولجملة: **{قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا}** فقال موسى عليه السلام لهارون : **مَا مَنَعَكَ؟** ينكر عليه، لماذا امتنعت عن اللحاق بي، أقامه خليفة عليهم فلم يمتثلوا أمره، فكان المفروض ماذا يحصل منه أن يلحق موسى عليه السلام ويرد عليه الأمر، فما منعك أن تتبعني فتخبرني ما فعلوا فأعود إليهم؟

{إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (92) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي } يعني ينهره وينكر عليه ويهدده. هل هذا حصل منك معصية لأمري؟ وكيف تعصي أمري! فأجابه بما فيه تليين له : **قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ** ، وهذا من طلب الترفق وهو معروف عند العرب وهو يذكره أنه وهو من بطن واحدة، من أجل أن يحصل منه الحنو والعطف ، قال له: **{لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي }** والظاهر أنه قد فعل أو يخاف منه أن يفعل. فهو ابتدأ بتحنينه لم يقل له يا أخي **{قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ}** يقوي أواصر الأخوة ويحنن قلبه عليه.

{لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي} يعني اجتهد ورأى في اجتهاده أن يبقيهم مجتمعين خيرا من أن يفرقهم ويلحق بهم، وهذا اجتهاد مرجوح؛ لأن الحفاظ عل العقيدة مقدم على الحفاظ على الجماعة، فهنا تعارضت مصلحتين عُليا ، حفظ العقيدة وحفظ الجماعة، أما حفظ العقيدة فهي أولى من حفظ الجماعة، هو رأى أن حفظ العقيدة أولى أن يستدرك والصحيح خلاف ذلك، أن حفظ الجماعة هو الذي يمكن أن يستدرك في مقابل حفظ العقيدة قد يفوت ولا يعود.

هو ظن أن لو عاد موسى أبطل عبادة العجل انتهى الأمر، لكن الصحيح أن هذه الجريمة العظيمة جريمة عبادة غير الله ما تصلح أن تبقى ولا للحظة، فهذا معنى أن فائدة الاجتماع إنما هي مبنية على صحة العقيدة ، يعني متى نطلب الاجتماع؟ لما تصح العقيدة أولًا.

قال: **{إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}** لأنه أمره أن يجمعهم على كلمة واحدة فكما تبين أن اجتهاده كان مخطئا.

{قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ} موسى عليه السلام يسأل السامري، ما خطبك؟! يعني ما حملك على ما صنعت؟ وما الذي عرض لك حتى فعلت ما فعلت؟ وهنا يظهر أنه يسأله من أجل أن هذه حال عجيبة كيف يحصل منك هذا؟ ما شأنك الذي أدخلك في هذا؟

{قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا} هذه الآية عند جمهور المفسرين معن اها أبصرت ما لم يبصروه ونظرت ما لم ينظروه من أثر الرسول، يقصد بذلك جبريل عليه السلام، وهو رسول من الله إلى الأنبياء.

قالوا أن السامري أراه الله جبريل –وكانت هذه فتنته – راكبًا فرسًا فوطأ حافر الفرس مكانا فإذا هو مخضر النبات، فعلم السامري أن أثر جبريل إذا ألقي في جماد صار حيا ، فأخذ قبضة ممن ذلك التراب ، فصنع عجلا ، وألقى القبض عليه . هذا الذي ذكروه إنما هو أقوال لبعض السلف، حتى ليست من الإسرائيليات.

لكن لو نظرنا للآ ية قال: {بَصُرْتُ} بمعنى علمت واهتديت { بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ } ويمكن أن يكون هذا علم التماثيل والصور الذي بها يصنع العجل، {فأخذت قبضه} معناها أنه تصور وتخيل أمور ولبس عليه الشيطان فقال : {بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا} يعني تعلمت علما لم يعلموه ورأيت أني أعرف ما لا يعرفوه، وهذا القول أيضا لبعض المفسرين.

لكن نحن في هذا نقول أن النص الذي أمامنا يدل على أنه قبض شيئا من أثر الرسول فهل ويقصد به جبريل؟ أو يقصد به موسى عليه السلام؟ أكيد أنه توهم فنبذه وفي نهاية الأمر هذا العجل بقي لا ينطق ولا يرد في كل الأحوال، يعني قصة أثر جبريل إذا صحت المفروض أخذ هذا فألقاه فأصبح حيا، هو لم يكن حيا، كان ميتا، لكن الذي يظهر أنه قد توهم.

قال: {كَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي} وهذا يجعلنا نقول أ ن هذه كلها كانت أ وهام، يعني نفسي سولت لي بمعنى غرتني وحسّنت لي هذا وعجّبتني لذلك فجعلتني أرى ذلك شيئا صحيحا.

في عقابه لم يزد على أن خلعه من الأمة، وهذا والله أعلم لأن موسى عليه السلام لا يرجو صلاحه ويكون قد حقت عليه كلمة العذاب، لعلمه عن ذلك بالخبر، {قَالَ فَاذْهَبْ} من هذه الأمة {فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ} هذا إخبار عما سيكون له في الحياة الدنيا، جعل حظّه من الحياة الدنيا أن يقول لا مساس {أَن تَقُولَ لا مِسَاسَ} سلبه الله الأُنس الذي في طبع الإنس فعوضه به هوسًا ووسواسًا وتوحشًا، فأصبح متباعدا عن مخالطة الناس، يعيش وحده لا يترك أحد يقترب منه! إذا لقي أحد من

الخلق يقول له لا مساس يخشى أن يمسّه، لا تمسّني ولا أمسّك ولا تقترب مني، وهذا جزاء من نفسه التي سولت له، كأنهوالله أعلم كان ذلك كله أوهام {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا } أوهام من نفسه، هذا حاله في الدنيا، وأما حاله في الآخرة فمعلوم {وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تُخْلَفَهُ} المقصود ما يكون من عذاب يوم القيامة، وهذا وعد الله لا يخلفه.

وأما ما حصل لهذا العجل قال له بعدما أوعده بيّن امتهان وعجز هذا العجل {وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا} فبيّن أنه ما يستحق أن يُعبد لأنه لا يدفع عن نفسه الضر.

أولًا حرقه والظاهر أنه أذابه بالنار حتى يفسد شكله ويصبح قطعا، الذهب لم يذاب بالنار لا يذهب إنما يتحول لسائل، ثم يتجمد مباشرة، فللظاهر أنه حرقه بالنار لم يحترق إنما ذاب فقط، وقد ذُكر عن ابن عباس أنه حرقه بالمبارد، بردوه بردا بالمبارد حتى أصبح فتات، ثم نسفوه نسفا يعني فرقوه ورموا أجزاءهفي البحر. وهذا البحر هو الذي جاوزوه فنسفوا العجل فيه ؛ إرادة للتأكيد أنهم قد نجوا من الشرك إلى التوحيد، فليسوا بحاجة أن يكون لهم إله بالمشاهدة ، فإنهم سيعكفون ويلازمون عبادة رب الأرباب، الذي يغيب عن المشاهدة وتبقى آثار أفعاله في كل شيء ، وهم قد رأوا آثار أفعاله فكان معيبا عليهم أنهم بعد ما رأوا آثار أفعاله أن يطلبون محسوسا بالمشاهدة، ولذا أهل الإيمان ميزتهم اليقين بالرحمن والطمأنينة أنهم يروا آثار أفعاله في كل شيء يحيط بهم، وهم بقلوبهم يناجوه، وبألسنتهم ينادوه، وبأبدانهم يعبدوه، ويروه قريبا مجيبا سميعا بصيرا محيطا، لا يعزب عن علمه مثال ذرة!

فالمطلب الرئيس الذي يستحق من الخلق البذل من أجله هو الإيمان بالتوحيد، واليقين باستحقاقه وحده سبحانه وتعالى العبادة والطاعة.

على كل حال في القصة من الدروس الشيء الكثير، العناية بالتوحيد ، تقديمه على غيره، أن الاجتماع مترتّب على الاجتماع على التوحيد، معرفة النفوس أنها سريعة التقلب، اليأس من روح الله يجلب للخلق البلاء ، يجعلهم يلتفتون عن باب الله، بقاء الرجاء يزيد تعلق العبد بالله ، وغير ذلك من الدروس المهمة التي على الأمة اعتبارها؛ لأن الله عز وجل لم يخبرنا عن الأقوام الذين مضوا لنسمع تاريخا، إنما لنعرف أن هذه حقيقة البشرية وأنها سنة كونية، وأن الله له سننه في معاملة خلقه ، وهذه السنن سائرة على كل الخلق لا يفترقون فيها.

فنسأل الله عز وجل بمنّه وكرمه وهو الذي هدانا لهذا الدين وجعلنا من أمة رسولنا الكريم أن يثبتنا على الدين ويزيد إيماننا ويقينا، ويجعلنا رؤوسا في الخير، وإن لم نكن فنكون أتباعا فيه، ونعوذ به أن نكون رؤوسا في الشر أو تابعا فيه.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.